

## دلائل الإعجاز

وعُشْرًا عُشْرًا وآيةً آيةً فلم يجدوا في الجميع كلمةً يذُبو بها مكانُها ولفظةً يُنكرُ شأنُها أو يُرى أنَّ غيَرها أصلُ هناك أو أشبهُ أو أخرى وأخلق . بل وجدوا اتِّساقاً بَهْرَ العُقُولِ وأعجزَ الجمهورَ ونظاماً والتئاماً وإتقاناً وإحكاماً لم يدعُ في نفسِ بليغٍ منهم - ولو حكَّ - بيا فوخه السَّماء - موضعَ طمعٍ حتى خرستِ الألسنُ عن أن تدَّعيَ وتقولَ وخَلَدتِ القُرُومُ فلم تملكُ أن تَصولَ .

نعم فإذا كان هو الذي يذكرُ في جوابِ السَّائلِ فينا أن ننظرَ : أيُّ أشبهُ بالفتى في عقله ودينه وأزودُ له في علمه ويقينه . أنَّهُ يُقَلِّدُ في ذلك ويحفظَ متنَ الدليلِ وظاهرَ لفظه ولا يبحثُ عن تفسيرِ المزايا والخصائص ما هيَ ومن أينَ كَثُرَتِ الكثرةَ العظيمةَ واتَّسعتِ الاتساعَ المجاوزَ لوسعِ الخلقِ وطاقةِ البشرِ وكيفَ يكونُ أن تظهرَ في ألفاظٍ محصورةٍ وكلمٍ معدودةٍ معلومة بأن يُوْتى ببعضها في إثرِ بعضِ لطائفُ لا يحصرُها العددُ ولا يَنْتهي بها الأمدُ أم أن يبحثَ عن ذلك كله ويستقصيَ النظرَ في جميعه . ويتبعه شئناً فشيئاً ويستقصيه باباً باباً حتى يعرفَ كلاً منه بِشاهدِهِ . ودليله . ويعلمه بتفسيره . وتأويله . ويوثقَ بِتصوُّرِهِ . وتمثيله . ولا يكونَ كمن قيلَ فيه - الطويل - :

( يَقُولُونَ أَقْوَالًا وَلَا يَعْلَمُونَهَا ... وَلَوْ قِيلَ : هَاتُوا حَقِّقُوا لَمْ يَحَقِّقُوا ) .  
قد قطعتُ عُذْرَ المتهاونِ ودَللتُ على ما أضعَ من حظِّه وهديتُه لرشدِهِ وضحَّ أنَّهُ لا غنى بالعاقلِ عن معرفةِ هذه الأُمورِ والوقوفِ عليها والإِحاطةِ بها وأنَّ الجهةَ التي منها يقفُ والسببَ الذي به يعرفُ استقراءُ كلامِ العربِ وتتبعُ أشعارِهِم والنظرُ فيها . وإذ قد ثبتَ ذلك فينبغي لنا أن نبتدئَ في بيانِ ما أردنا بيانَه ونأخذَ في شرحه .  
والكشفِ عنه